



عندما كان النظام الصهيوني في تل أبيب يقصف أهلاًينا الأحبة في غزة في مثل هذه الأيام منذ ثلاثة أعوام، كان المصريون تقدّمهم الطليعة الإسلامية يتظاهرون كل جمعة، وطوال الأسبوع كانوا في المدارس والجامعات ينتفضون احتجاجاً على هذه المجازر الوحشية التي ارتقى بها نحو ألف وأربعين شهيداً.

نذكر في مصر هذه الأيام جيداً، كنا نعاني من نظام هو أحد أسوأ الأنظمة القمعية التسلطية التي عرفتها مصر والمنطقة العربية، مع ذلك لم يحل ذلك دون أن يظهر المصريون عموماً، والإسلاميون خصوصاً لأهلاًينا المرابطين في الأرض المباركة قدرأً من التضامن والتعاطف.. وفي تلك الأثناء، ويرغم حظر التظاهرات وخشيته النظام من أن تتحول أي مناسبة لفرصة للثورة ضده إلا أنه لم يتمكن من وأد الشعور الإسلامي الجارف إزاء ما يحصل، ولم يُرِدْ أن يصادم كل هذه الجموع التي بدت متحمسة للتظاهر لاسيما أنه كان يغلق معتبر رفع في وجه الجرحى واللاجئين، ومن ثم فإنَّه لم ير داعياً لغلق الباب في وجه المحتجين، لكنه عمل على "ترشيد" و"ضبط" تظاهراتهم.

كنا في مصر في هذا الوقت، وتحديداً منذ يوم 27 ديسمبر/2008م بداية العدوان وحتى نهايته في يناير التالي ننتفض - كغيرنا من سائر الشعوب المسلمة - حرقاً، وننطر ألمًا من لوعة ما يحدث لإخواننا الأبطال.. **كنا ندرك أن الدم الفلسطيني ليس ماء، ولا "بيبسي كولا"** مثلاً تهكم الشاعر اللاذع أحمد مطر من قبل في إحدى قصائده؛ فبادرنا إلى أقل ما يمكن أن نقدمه من تضامن إزاء هؤلاء الأشواوس في غزة الذين كانوا أفضل حالاً من إخواننا في سوريا لأنهم كانوا - على الأقل - يتمترسون بأجنحة عسكرية وأجهزة أمنية مسلحة تستطيع أن تصد الهجوم البري، وتبادل الغزارة النار، وتشتبك معهم برغم قلة العتاد.

الآن، والنظام الصهيوني الحاكم في دمشق يرتكب أكثر مجازره **فظاعة**، ويزيد من وطيرة عدوانه على الشعب السوري المسلم تزامناً مع وصول شهود الجريمة العرب، ويتجاوز في كل يوم ما كان يرتكبي في غزة، وتنام على هذا الشعب أنظمة كثيرة في الشرق والغرب، وتخنس فيه الأنظمة العربية خوفاً من إغضاب سيدها الأمريكي، وخشية من استفزاز واستعداء يده

المطلقة في الخليج العربي/إيران؛ أفلًا يكون لطليعة الشعب المصري وقفه أخلاقية وكلمة مسموعة وحضور تاريخي و موقف يغسل عار مصر من شهود هذه الجريمة النكراء دون تحريك بنان أو إصدار بيان احتجاجاً على هذا العدوان الوحشي على أبطال الشام ودرع الإسلام وعنوان الفداء؟!

فما الذي يغل أيدينا؟ أهي الفترة الانتقالية التي نريد أن نبدو فيها ملكيين أكثر من الملك؟!

إن شيئاً من إظهار سياستنا الخارجية هو استعلاء بمنهجنا ومكافحة ووضوح أمام الجميع، بأننا نريد لمصر ألا تكون مصر مباركا، وإنما مصر العزة وشاره العرب وشامة المسلمين، أو لا؛ فلا أقل من أنها مصر التي تحترم حقوق الإنسان - أي إنسان - إن لم يكن عربياً أو مسلماً، وتأسف من رؤية الدم الطاهر يسفك بلا جريرة، وتستنكر أن ترى في لحظة الضعف والهوان وشهادة الزور..

وما الذي يكبل مواقفنا؟ أهي الرغبة في عدم "إحراج" حماس؟!

نعم، هي الحركة محشورة الآن في زاوية ضيقة صعبة، لكن ذلك لا يعني أن تتحشر كل حاضنتها ومرجعيتها الدولية في مساحة غزة الصغيرة - مع تقديرنا الكامل لأهلها..، إن أكثر من ثلاثين مليوناً يعانون الأمرين في سوريا، ويكتم ملايين غيرهم أنفاسهم في لبنان خشية الفتوك بهم، ويتطلغ عشرات الملايين غيرهم في العراق وحتى الأقلية المضطهدة في إيران، والعديد من البلدان للمشهد في سوريا أملأ في الفكاك من هذا الإخطبوط / المحور العدواني الرهيب؛ فأين تتموضع طليعة مصر الجديدة في هذه الخريطة التي يعاد رسماها بإرادة شعبية فولاذية سيحكيها التاريخ يوماً ويغض الطرف عنكم.

ولا يظنن ظان أبداً أن القيم والأخلاقيات يمكن أن تتجزأ، وأن الأولويات يمكن أن تُرْحَل، وأن التاريخ سيرحم؛ فمصر تعيش لحظة يمكنها فيها أن تشهد ملايينيات بلا استئذان وبلا حسابات كثيرة ويقف عشرات الآلاف حول السفارة الصهيونية لحكم دمشق بالقاهرة مثلماً وقف الآلاف من قبل حول السفارة الصهيونية لتل أبيب، ليعلم العالم كله، الذي يساند الطغمة الحاكمة في سوريا أن لأهلنا رجال هنا في أرض الكناة لا يرضون بالضم والهوان ويأبون أن دينهم وكرامتهم وقيمهم وأخلاقهم أن يمس السوريون بأذى وهم يعالجون هنا حسابات وهمية ويستدرجون بعيداً عن مشاكل مصر القومية الرئيسية وأمنها الممتد حتى الشام، وعراقتها وتاريخها المساند لكل الشعوب الحرة في المنطقة العربية والإسلامية، ويعلمون أن موقف النظام الحاكم في مصر الآن من الثورة السورية لا يمثلنا كمسيحيين نعرف معنى الأخوة الإسلامية والعربية، وندرك كوننا الدولة الشقيقة الكبرى لكل شعب يعيش تحت نير القهر والاستبداد في عالمنا العربي.

إنني أدعو طليعة المصريين اليوم، الذين زakahم شعبنا الثائر، ومنحهم ثقته، وفوضهم الحديث نهاية عليهم أن يكونوا على قدر المسؤولية، وأن يترفعوا على كل خلاف، ويطرحوا كل حساب، ويهبوا لتخفييف الأذى عن امتداد مصر الطبيعي (أرض الشام)، ويتنادون إلى مليونية حاشدة، تضع القاطرة المصرية على السكة الحقيقة لاستعادة دورها الأخلاقي قبل الإقليمي، وهم صنوان لا يفترقان.

ليقولوا إنكم قد تركتم مشاكل مصر وانشغلتم بـ"الآخرين"، أو أنكم تتاجرون بالآلام.. ليكن، لكن ليفهم الجميع أن اغتصاب مئات الحرائر في سوريا، وسحل آلاف الجثث، وتعذيب عشرات الآلاف ليس أهون عند أحرازنا من نسائنا ورجالنا وأطفالنا.. لنثر في الميدان بجموع هادرة تخرق أصواتها جدار الصمت والتواطؤ وتصل بصداتها إلى تحت عرش الطاووس الأسدى، وليس بق موقف الشعب المصري مواقف الساسة ووفودهم ولجانهم الهزيلة.

المصدر: موقع المسلم (نقاً عن صحيفة "المصريون")

المصادر: